الأزمات السياسية والفكرية في المجتمع العربي من منظور المفكرين برهان غليون وفهمي جدعان.

T The political and intellectual crises in the Arab society from the perspective of thinkers burhan ghalioun and fahmi jadaan

صالح طورشي *

جامعة مولود معمري-تيزي وزو

مخبر مجتمع تربية عمل جامعة تيزي وزو

Salah.torchi@ummto.dz

سمير حسنة

جامعة مولود معمري-تيزي وزو

Samir.hasna@ummto.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/21 تاريخ القبول 2024/05/19 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية الى التطرق إلى القراءات والمواقف النقدية للفكر العربي المعاصر ، والتعرض الى المسائل الفكرية والسياسية والمشاريع التي قدمت كحلول للخروج من أزمة الانسداد من خلال المسائلة النقدية والتوفيقية للمرجعيات التقليدية والحداثية التي تندرج ضمن مطارحات النهضة والتخلف، التي ركز عليها مفكرو العرب بالتحديد المفكر برهان غليون من خلال عرضه لمشروعه الفكري والسياسي الذي يهدف الى إبراز القراءات النقدية داخل الأطر المعرفية للعقل العربي السياسي باحثا عن النماذج الغربية ومحاولاً تطبيقها على الواقع العربي ،كما تتجلى هذه المقاربة في مشروع المفكر فهمي جدعان الذي يحاول استقراء الواقع العربي من خلال البحث عن حلول للأزمة في

السياقات التاريخية الممتدة من التراث العربي والاسلامي والمعاصرة وتوفيقها مع المفاهيم الغربية.

الكلمات المفتاحية: الانسداد؛ المسائلة النقدية؛ العقل العربي؛ القراءات النقدية.

Abstract:

This research paper aims to address critical readings and attitudes of contemporary Arab thought, and deal with intellectual and political issues and projects that were presented as solutions to get out of the blockage crisis through critical and conciliatory questioning of traditional and modernist references that fall within the discourses of renaissance and underdevelopment, which Arab scholars focused on specifically the scholar Burhan Ghalioun through his presentation of his intellectual and political project, which aims to highlight critical readings within the epistemological frameworks of the Arab political mind, searching for Western models and trying to apply them to Arab reality. This approach is evident in the project of the scholar Fahmy Jadaan, who attempts to extrapolate the Arab reality by searching for solutions to the crisis in the historical contexts extending from the Arab, Islamic and contemporary heritage and reconciling them with Western concepts.

key words: obstruction ; critical questioning ; the Arab mind; critical readings.

مقدّمة:

لقد كانت تأثيرات التحولات السياسية والاقتصادية في العالم لها أثر على العالم العربي والمغاربي، هذا في خضم هذه النزاعات والقضايا التي تعددت في العالم العربي لها سنعالج في هذه الورقة البحثية اشكاليات متعلقة بالعالم العربي الراهن لاسيما السياسية المتمثلة في ثورات الربيع العربي، انبثقت تساؤلات وجدالات على مستوى الداخلي المتمثل في كيفية تحديد الحكم وطبيعة الأنظمة الأنسب للدول، لعل أبرز الذين انشغلوا في هذه الاشكالية المفكر برهان غليون وهذا من خلال كتبه ابتداء بكتاب بيان من أجل الديموقراطية حيث ينظر فيه لطبيعة الحكم وعلاقة الحاكم بالشعب، ينطلق برهان غليون من تشخيصه للأزمة الفكرية من المرجعيات الفكرية عند

صدمة الحداثة، بدأت بالنهضة والبعثات العلمية والثقافية إلى باريس مع الطهطاوي، ومحاولات المثقفين العرب النهوض في جميع المجالات لكسر الجمود، فكانت نظرة المفكر فهمي جدعان ترتكز على أسس وضعية مبنية على القراءات النقدية التي قدمها في كتبه للمثقفين والمفكرين الذين عالجوا اشكالية التخلف والمأزق الذي حال دون التقدم والتطور ومواكبة الحداثة والعلم، لقد كان لهذ الهدف دافع رئيس في ظهور المشاريع السياسية والفكرية في العالم العربي هو ونتيجة حتمية للأحداث السياسية والفكرية في الساحة العالمية وانعكاساتها على الساحة العربية، فالإشكالية المطروحة: كيف تأسست قراءات كل من برهان غليون وفهمي جدعان لإشكالية التخلف والنهضة في السياقات الفكرية والسياسة داخل المنظومة العربية ؟ وتنقسم هذه الاشكالية الى تساؤلات فرعية: ماهي البدائل والحل التي قدمها هذين المفكرين؟ هل الابداع والتحديث متعلق بالإرث الفكري العربي والاسلامي أو بالحداثة الغربية؟

المبحث الأول :إشكالية النهضة والتخلف في سياقها العربي عند المفكرين برهان غليون وفهمي جدعان

لقد كانت الاشكاليات المتعلقة بالنهضة من أبرز المحاور الكبرى التي تناولها مفكرو النهضة الاصلاحيون أو الحداثيون منهم بالتحليل والنقد ومحاولة ايجاد الحلول للخروج من الركود التي تعاني منه الأمة العربية فمثلاً نجد المفكر برهان غليون في كتابه الموسوم ب:المحنة العربية: الدول ضد الأمة تشخيص الأزمة والصراع القائم بين هؤلاء المفكرين " يؤكد الأول في تعينيه لطبيعتها على بروز معارضة التحديث باعتبارها جوهر العملية التاريخية الجارية في الوطن العربي، ويرجع في البحث عن أسبابها إلى ما يطلق عليه عادة بمقاومة النظم والبنى القيمية والمعرفية والثقافية القديمة ولا فاعلية الهياكل التقليدية الهرمة الموروثة في مجتمعاتنا، ويتساءل الكثيرون ويسألون ماهي هذه العوامل التي تجعل المجتمع العربي معاديا للحداثة، بل مستعصيا عليها ونادرا ما يبحث المتسائلون في الاجابة عن

تحليل طبيعة السياسات الاقتصادية أو في تنظيم العمليات الاستثمارية أو في اتساق خطط التحديث التي قادة مسيراتها النخبات الحديثة نفسها. إذ إن النظر يذهب تلقائيا ومباشرة الى سبر غور الاثار السلبي للقيم والبنى القديمة، الدينية والفكرية والانثروبولوجية. وفي هذه الحالة لن يكون من الممكن الخروج منها الا بالعمل على تعرية هذه البنى والكشف عنها والعمل على تفكيكها، كخطوة ضرورية على طريق تصفية الارث التاريخي والمترهل والمفوت، الاجتماعي والفكري، وادخال منظومات القيم والمنطق العقلاني الحديث العلمي والتقاني في نظام المجتمع وشبكات ممارسة السلطة أو السلطات القائمة، حتى لو لم يكن هناك طريق أخر غير القوة"[1] نفهم من خلال هذه الفقرة أن المفكر برهان غليون يطرح مشكلة جوهرية داخل النظام المعرفي والسياسي العربي مبرزا بأن اشكالية النهضة تاريخية بين النظرة العلمية والحداثية التي كانت منذ صدمة الحداثة والبعثات الطلابية إلى أوروبا، إن هذا الاحتكاك كان الدافع الرئيس لمساءلة التاريخ العربي والإسلامي مع الحداثة الغربية و بالتالي هذا الطرح الذي يمثله العلمانيون أو العقلانيون العرب الذين تأثروا بالثقافة الحداثية الأوروبية في جميع المستويات والقضايا، بالنسبة لهؤلاء إن الحل الأنسب للخروج من الانحطاط يكمن بحضور المناهج والقيم والأفكار الغربية داخل المجتمعات العربية والإسلامية ونقد التيارات الأصولية والتراث. لكن هناك موقف مغاير لهذا الاتجاه حيث يقول المفكر برهان غليون وفي المقابل، يشدد التصور الثاني المعارض على الطبيعة السياسية للأزمة ويكشف عن أسبابها في التحلل الأخلاقي والتخلي عن الهوية الثقافية وتوسع دائرة الاستيعاب وتبعية الناخبات الحديثة الحاكمة والسائدة في المجتمع للدول والمجتمعات الصناعية والغربية المسيطرة، وتضيق مخيلتها في عملية الاقتداء الأعمى بها. فهي إذا التعبير عن غياب الاستقلال الفكري والروحي والمادي، والتجسيد الحي لإفلاس قيم العقيدة التغريبية التي تحكمت بعقل النخبات الاجتماعية العربية التي احتكرت بالقوة او الخديعة مراكز السلطة والمسؤولية منذ

الاستقلال ...[2] في هذا الموقف يؤكد برهان غليون على أن الذوبان في ثقافة الأخر تجعل من الفرد العربي يعيش في حالة اغتراب وانفصام لأنه يميل الى الثقافة الخارجة عن بيئته وفطرته التي وجد فيها، وهذا بالتأثر بنمط الثقافة الغربية وترك المبادئ والقيم العربية والاسلامية ،إن هذا الصراع يجعل من الفرد العربي خارج تاريخ الابداع وبالتالي يجعل المجتمعات العربية تستهلك القيم والحداثة الغربية عوض انتاجها من الثقافة المحلية .

وفي سياق الحديث عن النهضة العربية يذهب المفكر فهمي جدعان بالقول "يبدو أن الاتجاه السلفي الاتباعي واتجاه عصر النهضة هما نمطا الخطاب الرئيسان اللذان يجسدان حاضر العقل الاسلامي وقد أكد هذا الكتاب أن هذا العقل بدأ يقظته مع "مقدمة" ابن خلدون ووعى ذاته وأبعاده غب الاتصال بالغرب والمجابهة مع التمدن الغربي. والسمة الغالبة على هذا العقل في حالة "النهضة" هي حالة "الثنائية". فهو موزع بين الإيمان والعقل، بين الأصالة والمعاصرة، بين العقيدة والعلم، بين التراث والتجديد، بين الخوف والرجاء، بين اليأس والثقة، بين الاستقلال والتبعية، بين الماضي والمستقبل بين حرقة التخلف وأمل التقدم.. أما السمة الغالبة عليه في حالته السلفية الاتباعية فتتمثل في السخط القاسي على "أغلال" الأزمنة الحديثة "وضلالها"، وفي العداء الصريح لأحوال التغير في الأفكار والقيم والعلاقات والأشياء، وفي التنكر لا هذه الاحوال، وفي رفض أي حاضر أو مستقبل يخرج عن مخطط الماضي الأول في قليل أو كثير، وفي التعلق تعلقا مطلقا متفردا بالسلف والتراث. وبهذه الخصائص يبدو هذا الفكر "آحادياً"، متمساكًا في ذاته لكنه مهدد في أن يكون مغتربا في عصره.[3] يستعرض فهمي جدعان موقف اتجاه النهضة العربية والتيارات الأصولية التي تجعل من هذا الفكر حبيس الماضي وتربط فكرة التقدم ومرتكزاتها بالماضي ،فيقول بأن لنهضة والتقدم أخذ أبعاده من عند ابن خلدون، كما أن الذات العربية تعيش بين ثنائية الأصالة والمعاصرة بين الخوف من الانغلاق وعدم تحقيق أي نتيجة أو الانفتاح والخوف من الثقافة الغربية، وفي هذا الصدد يلتقي برهان

غليون مع المفكر فهمي جدعان ما يخص انتقاد التيارات السلفية المتشددة التي تحتكر الحقيقة وتدعي أنها على حق. وفي نفس السياق يحدث برهان غليون عن الحداثة والعقلانية ومواجهتها لكل أشكال التقليد حيث يقول" تفترض إيديولوجية الحداثة مسبقا أن الواقع المطابق لذاته، هو الواقع الحديث أو المساير للحداثة، وأن كل مظاهر الحياة التقليدية وأنماطها ليست إلا واقعا مفوتا، لا انسجام فيه، أي هو شذوذ. فالحداثة هي معيار العقلانية والصحة، ولا يمكن للمعرفة أن تكون صحيحة ويقينية إلا عندما يكون نموذجها هو الواقع الحديث والمعاصر. والعلم بوصفه أحد منتجات هذه المعاصر الكبرى، يشكل إذن بالضرورة معيار صحة أفكارنا عن الواقع الذي نعيش فيه. فبقدر ما تكون هذه الأفكار مطابقة للعلم تكون يقينية.[4]، نستخلص من هذا التصريح أن برهان غليون مع الحداثة والعلم والعقلانية وأن انماط التفكير التقليدية تجاوزها الدهر وبالتالي الافكار الحديثة هي صحيحة لأنها توافق الواقع وتجعل المجتمع في تغير كذلك بالنسبة الى المفكر فهمي جدعان أن الرهان الحقيقي يمكن في توجيه النقد الى التراث وتطويره كما يراهن على الإسلام المنفتح على الأخر وليس الاسلام الذي يتبناه المتشددون كما يؤكد على أن النهضة والحضارات يجب أن تتوفر على الشروط الضرورية مثل الحرية في المجال الفكري والسياسي، لقد شدد برهان غليون على أهمية الحداثة من جانبها المنفعي والإصلاحي داخل المجتمعات العربية ويتجلى هذا في كتابه الموسوم ب:"...فالحداثة هي منطق التاريخ، ومن يتجاهل منطق التاريخ أو يرفض تمثله يخرج منه ويفقد القدرة على أي تغيير بل يفقد معنى التغيير. وهذا ما يفسر أننا لانزال مكاننا منذ قرون."[5] إن المحلل للوضع العربي الإسلامي المعاصر يجد أن اغلبية الدول العربية تتجه الى الحداثة الغربية في جميع المجالات العلمية والفكرية والسياسية وخاصة التكنولوجية و الثقافية والفنية .

المبحث الثاني :الحرية كمبدأ للنهضة السياسية والفكرية في المجتمع العربي في فكر برهان غليون وفهمي جدعان

لقد ركز برهان غليون على أن سبب الأزمات في العالم العربي راجع إلى التخلي عن قيم الديمقراطية والانغلاق على الأخر، كما أن السلطة المطلقة لا تتماشى مع طبيعة المجتمعات العربية لذلك حسب برهان غليون أن الانسداد الفكري راجع إلى التعصب والوثوقية وعدم تقبل الآراء والحوار ،فبرهان غليون يدعو الى ضرورة بناء فضاءات اجتماعية يمكن النقد والتساؤل حول القضايا المصيرية للمجتمع والابتعاد عن العصبية والتطرف والنرجسية فالعمل السياسي يحتاج الى الانفتاح بالدرجة الأولى .

يشير برهان غليون الى مسألة جوهرية يتعرض لها الفكر العربي قائلا "إن أخطر ما يصيب الفكر هو التعامل بشعارات ونظريات وقيم جاهزة يعتقد أنها عملة نقية ونقدا صافيا، فتحرمه من الشك والنقد والوعي الصحيح. إن الخطر الحقيق الذي يهدد وحدة المجتمعات واستقرارها ليس وجود التيارات والمذاهب المتعارضة كل التعارض، ولكن سيطرة النظرة النرجسية المغلقة والتفوقية التي تمنع من اكتشاف طرق التفاهم وتلغي إمكانية الحوار. فهي النظرة التي تحرمها من الشعور بمشروعية وجود غيرها، أو التي تدفعها إلى عدم رؤيته إلى كوجود وهمي، مفوت، وماضوي، ينبغي له أن يزول، أي تجعل منه وجودا لا مشروعاً وغير معقول فعندئذ ينتهي الحوار والنقاش والتداول، ويغيب الحس الواقعي، وتجد التيارات المتنابذة نفسها في حرب مستمرة مع أشباح لا تعرف كيف تتخلص منها ولا كيف تحل مشاكلها معها، وبالعكس، إن التناقض الفكري يقود الى تدعيم النظام العام وإثراء العقل والوعي عندما يقوم على التسليم بأن لكل فرد ولكل جماعة ولكل تنظيم الحق بأنه يفكر كما يعتقد أنه الصح، دون خوف من إرهاب فكري أو ديني أو إتهام أو تشهير أو تحقير لجهده الفكري، وأن السياسة ليست ممكنة إلا لأنها فرصة المنافسة والتنافس الحر والسلمي بين عقول حرة ومفكرة، وبالتالي مختلفة...[6]نجد المفكر فهمي جدعان في كتابه يدعو الى تأسيس عقلانية عربية وإسلامية تستطيع مواجهة التغييرات العالمية على جميع الأصعدة كما أنه يتوافق مع المفكر برهان غليون فيما يخص

الديمقراطية ومبدأ الحرية للفرد دون ان يتعرض الى الاضطهاد من أي سلطة ،حيث أكد فهمي جدعان على مبدأ الحرية في بناء توافق مع جميع فئات المجتمع المختلفة في مرجعتيها الفكرية أو السياسية حيث يستطرد قائلا" لكن الاوضاع التي انتهى اليها العالم العربي والانسان العربي في كل مواطنه تفرض فرضا حتميا الأيمان بالحرية والحريات الأساسية كأحد طرق الخلاص الرئيسة التي لا مناص من التعلق بها لإدراك النهضة من جديد، أو ما يسميه ناصيف نصار" النهضة العربية الثانية". لا يشك أحد المفكرين العرب اليوم في أن الحرية شرط ضروري وحيوي لإدراك نهضة عربية جديدة، وفي أن قدرة العالم العربي على مواجهة مشكلات العولمة ومخاطرها مرهونة بمدى انحسار الاستبداد وبمدى تقدم قضية الحقوق والحريات الأساسية[7]نفهم من خلال هذا الطرح بأن الحرية بالنسبة للمفكر فهمي جدعان هي حتمية وضرورية من أجل إحداث النهضة داخل المجتمعات العربية، كما أن الحرية في مشروع برهان غليون تعني الفعالية السياسية العملية والواقعية التي يمكن أن تنقص من حدة التوترات داخل الطوائف الدينية.

المبحث الثالث :الصراع العلماني الاسلامي على سلطة الحكم من منظور برهان غليون وفهمي جدعان

تعتبر العلمانية من أبرز قضايا ثورات الربيع العربي ،لأنها مسألة تطرح في كل صراع داخل الأنظمة للحكم وتشريع القوانين إنها مسألة حساسة، لقد كانت التجربة العربية للعلمانية تعتمد أساسا على التجربة الغربية الحداثية كما تعتمد على التجربة التاريخية السياسية والفكرية لمعالجة الأزمات والعوائق في المجال السياسي خاصة وكما يعلم الجميع أن الازم السياسية لها أثر على الازمة الفكرية والثقافية وبالتالي مسألة التغيير تصبح على المستوى السياسي وبالتالي النقاشات والاختلافات في المواقف تكون بارزة وهذا ما يحدثنا عنه برهان غليون قائلا "وفي هذا الصراع على القيادة، كانت حظوظ النخب العلمانية، اليسارية والليبرالية، على كسب الرهان أقل بكثير من حظوظ القوى الاسلامية على

مختلف أجنداتها، الدينية والسياسية والعالمية. وذلك لأسباب عديدة، وقد لعبت عوامل كثيرة كما شاهدنا لمصلحة تقدم الأجندات الاسلامية: فشل الاستراتيجيات السلمية والدخول في الحرب المفروضة من قبل النظام وحلفائه؛ وانفتاح الأزمة السورية التي مثلتها الحرب طويلة المدى على الصراعات الاقليمية، وبشكل خاص الصراع الخليجي الايراني، والتركي الإيراني، والتركي العربي، التي اتخذت طابع النزاعات الطائفية أو الدينية الإقليمية الأبعاد، مع التدخل الايراني الواسع في الصراع السوري وفي المشرق بشكل عام؛ وأخيرا دخول الأزمة بأكملها والمشاركين فيها في دائرة الصراع على اعادة توزيع مناطق النفوذ والهيمنة الدولية"[8] يشير برهان غليون الى مسألة مهمة في هذا الكتاب الذي يتحدث فيه عن سيرته الذاتية وجميع ما حصل له في الثورة السورية لأنه كان او رئيس للمجلس الوطني في سوريا حيث يقدم شرح للأزمة السورية وخاصة النخب العلمانية والإسلامية وموقفها من الثورة ويرى بأن صراع المرجعيات الفكرية والدينية كان من أسباب فشل مجلس التوافق، لكن برهان غليون يلقي اللوم على التيارات الأصولية التي انحرفت عن الطابع الديموقراطي وحملها الشق الكبير في فشل الثورة حيث يقول:"لذلك كانت القوى الإسلامية هي الأكثر ميلا الى الانقسام والتنازع وهدر الموارد والتضحية بالمقاتلين في حرب طاحنة لا رحمة فيها، من دون أن تجد في آلية تفكيرها القائم على "الولاء والبراء" أي إمكانية للخروج من الانقسام إلى التفاهم والتعاون والاتحاد. وفي النهاية، تحول النزاع على تمثيل المرجعية الإسلامية، بين الموالين لها، الى الهدف الاول الصراع، ودفع هدف إسقاط النظام الى الهامش"[9] ان هذه الصراعات موجودة في جميع دول العالم العربي والمغاربي خاصة في فترة الانتخابات حول تحديد طبيعة الحكم داخل النظام السياسي فمثلا التجربة التونسية والمصرية والمآزق السياسية فنجد المفكر مراد وهبه يستعرض في مشروعه الفكري والسياسي ويدافع على العلمانية ويرى بأنها السبيل لتحقيق الديمقراطية وبناء المواطنة الحقيقية.

ولاشك أن من الأسباب الكبرى لهذا السلوك ما تعرضت له فئة من المثقفين، في الحقبة الأخيرة، من عملية ابعاد واقصاء منظمين وتهميش ساحق من قبل السلطة السياسية، وما نشأ لديهم في مواجهة ذلك من خوف من التفكير الحر وتمسك وبالدروب المطروقة، ومن عصبية الأماكن المغلقة والضيقة، وسحر عقائديات المجابهة والحرب التي تجيب على مشاعر التوتر والرغبة في القتال والعدوان المنبعث من الاحباط والموجه نحو الذات الجماعية والفردية .حتى أصبح الحديث عن التعصب والتخلف والدينية ذريعة لإلغاء الحوار والتفاهم والمماسة السياسية الحقيقة في المجتمعات العربية.[10] يتضح موقف المفكر فهمي جدعان من قضية العلمانية والإسلام على الحياد في معالجة القضية ويؤكد على التشديد والحرص من تحول الانعزالي الوثوقي للّإسلام الى الاسلام الحقيقي ويتجلى هذا في قوله "وأعود وأشدد على أن وعود نظام "الإسلاميين والمصليين" المحدث تنطوي على نظام انعزالي سكوني مغلق، وأنها مدعوة لأن تتحول عن هذا النظام إلى الأخذ ب"وعود الإسلام" نفسه التي هي وعود إنسانية حية رحيمة منفتحة بامتياز[11] يرفض المفكر فهمي جدعان العلمانية المتصلبة وهي حسبه العلمانية الراديكالية علمانية الفصل لا الحياد وبالتالي تنفي الدين وتحد من ممارسته داخل المجتمعات العربية، إن العلمانية المتصلبة إقصائية هذا ما يبرز في قوله لاشك في أن "العلمانية المتصلبة"، علمانية الفصل الراديكالي على الطريقة الفرنسية والكمالية، تستعصي على "المصالحة" مع الدين، وهي تبدي أعراضا" عصابية" قبالة متعلقات الدي ورموزه- وأظهر الأمثلة على ذلك في السنوات الأخيرة حظر الحجاب في الفضاء العام في فرنسا، وحظر بناء المآذن في سويسرا، حيث تخرج العلمانية على أخص مبادئها، الحرية، وتنقض نفسها قبالة الخوف أو النفور من رموز الدين الإسلامي معلنة بذلك عن رفض صريح لمقصد "حفظ الدين" على الرغم من قبولها بجملة مقاصد الدين الأخرى، في سياق نظامها الاجتماعي- الثقافي- السياسي الخاص بطبيعة الحال. لذا كان الامتثال لهذا الضرب من العلمانية،

أعني "علمانية الفصل" الجذرية ،مباينا بل مضادا لمبدأ الاخذ والقبول بعلمانية قابلة لأن توصف ب"الإسلامية"، حتى ولو أتاحت الحرية العلمانية لمظاهر أخرى من الحياة الدينية أن تعبر عن نفسها في المجتمع. ومن المؤكد أن الترافع والإقصاء سيبلغان أقصى مداهما إن فهم "أهل الدين" أن المقصود ب"حفظ الدين"، من المقاصد، التطبيق الفعلي المادي المشخص الظاهري لأحكام الشريعة الإسلامية وبخاصة ما يتعلق بالحدود والمساواة ومطلق الحرية من مجمل شؤون المجتمع والدولة. فالموقف العلماني هنا بين ولا يحتمل أي مراجعة أو تساهل أو تأويل. والحقيقة أن هذا الوجه يصدق أيضا على علمانية الحياد.[12] إن هذه النوع من العلمانية حسب المفكر فهمي جدعان لا يمكنه ان يقدم إضافة في العالم العربي ،لاسيما أن البيئة مختلفة مع الغرب وبالتالي يتوجب علينا أن نقاوم هذه العلمانية التي في نظره تناقض مبادئها، المتتبع للأحداث الأخيرة على مستوى العالم يرى بأن أحزاب اليمين ترفض الدين الإسلامي والمعتقدات الخاصة به داخل الفضاءات الأوروبية بل الأكثر من ذلك أنها تحارب الرموز الدينية، لذلك نجد المفكرين أبرزهم المفكر محمد اركون بالرغم من تكوينه الفرنسي إلا أنه ضد ممارسات العلمانية النضالية ويدعوا الى العلمانية المنفتحة القائمة على تقبل الأخر وروح الحوار وتقبل الأخر داخل الدولة. بتعبير أخر قد يكمن التسليم بأن ثمة مبدأ أساسيا مشتركا بين ما هو مقاصدي "إسلامي" وبين ما هو "علماني "متصلب، هو مبدأ رعاية المصلحة، من جهة أن هذه العلمانية نفسها تطلب هي أيضا تحقيق منفعة المواطن والخير العام–إن كانت متعلقة بليبرالية اجتماعية في حقيقة الأمر–إلا أن دخول مقصد "حفظ الدين" في نظرية المقاصد– سواء أكان المعني احترام الدين ورعاية مصالحه أم مطلق تطبيق أحكام الشريعة– يحول بكل تأكيد في هذا السياق دون قيام علمانية يمكن وصفها بالإسلام[13] نفهم من خلال طرح فهمي جدعان أن العقلانية العربية تعاني من صدمة الحداثة بين تتبع صوت الماضي او دخول الحداثة والذوبان فيها في جميع المجالات المهمة داخل الأنظمة العربية التي بدورها في حيرة بين

الانفتاح على الفضاء الاجتماعي الغربي وأقصد بذلك الأنظمة الاقتصادية والسياسية الرأسمالية والاشتراكية وفضاءات الحداثة وما بعد الحداثة، لكنه يحذر من العلمانية المتصلبة كما يطلق عليها، كما يطرح سؤال جوهري المتمثل في إمكانية قيام علمانية إسلامية قائلا "هل يمكن قيام علمانية إسلامية؟ أول ما ينبغي أن أنبه عليه هو ان المشكل الذي أنهض للنظر فيه لا يدور في سياق "نظام إسلام قائم "ذي سلطان يطلب إليه أن يكون "علمانيا"، وإنما في سياقات علمانية قائمة ذات سلطان، متعاظمة الانتشار والاستحواذ، ظافرة، يراد لها أن توافق دين الاسلام وأن تجد فيه مسوغا لوجودها ولشرعيتها. إن المفكر فهمي جدعان ينتهي الى أنه يمكن التوفيق بين العلمانية المنفتحة والاسلام ويستذكر التجربة التركية في قوله "وبين الذين يكررون القول أن "مصطلح العلمانية" مصطلح ينقض أخره أوله وبين الذين يلقون القول:" الاسلام علماني، يمتد فضاء يتطلب الانارة وقدرا عظيما من وجوه الادراك والرؤية والتحديد التي قد تأذن بافتراضات أو اقتراحات جديدة معقولة. ليس سرا أن التجربة التركية الحالية خلصت الى التركيب الهيغلي و الغادامري بين علمانية أتاتورك الراديكالية وبين "ثيوقراطية" نجم الدين أربكان "الدينية"، وتجسدت في "حزب العدالة والتنمية" الذي يقوده فريق رجب أردوغان الذكي، هي الأصل والمثال لهذا المصطلح الجديد: "العلمانية الإسلامية".[14] في حين أن المفكر برهان غليون ينتهي إلا أن هنا صراع خطيرا بين التيارات العلمانية والأصولية ويتضح هذا في كتاب في النخبة والشعب حوار لؤي حسين" لكن للأسف يبدو لي أنه في مقابل عقدة الخوف من العلمانية التي أصبحت هاجس المتأسلمين ومحور توحيدهم وتعبئتهم وتحشيدهم، هناك اليوم نزعة لتكوين عقدة الخوف من الدين لدى المتعلمنين الذين يعتقدون انه برميهم مسؤولية كل ما يحدث من خراب في العالم العربي والمجتمع على الإسلام، يجبرون الناس على الاختيار بين الحداثة والتقليد ويدفعونهم إلى الحسم والاصطفاف. وكلا العقدتان يشكل عائقا أمام فهم السيرورات التاريخية للمجتمعات

العربية ومعرفة قواعد تحولها واستجلاء معانيها الحقيقة، كما يقف حائلا أمام بناء أي فعل ايجابي ناجع لتوجيهها في الاتجاهات الصحيحة، أي الديمقراطية والإنسانية. وكلاهما يشارك في أزمة الوعي العربي والإسلامي الطاحنة ومن ثم في قطع الطريق على أي إصلاح سياسي أو ديني"[15] بالرغم أن برهان غليون ينفتح على نظام العالمي لكنه ضد العلمانية المتطرفة التي ترفض الاخر بسبب دينه او معتقداته الاسلامية او المسيحية، لذلك يدعو إلى التركيز على النهضة والتطور بدل الخوض في الصراعات التي تضعف الوعي العربي وتحول بينه وبين الحداثة والتطور .

خاتمة:

في الأخير نستخلص أن المفكرين برهان غليون وفهمي جدعان قد شخص أزمات المجتمعات من عدة مرجعيات فكرية وفلسفية وسياسة بحيث ركزوا اشكالية النهضة والتنوير هي المحور الرئيس في الفكر العربي المعاصر لأنها تحاول بلوغ التطور الفكري والسياسي الغربي، يلتقي برهان غليون مع فهمي جدعان في عدة نقاط أسياسية من بينها :الاتفاق على أن مبدأ الحرية أساسي وضروري للنهضة الفكرية لأنه يضمن حقوق الفرد داخل دولته وبالتالي يمكن أن يبدع ويناضل من أجل الرقي والتطور. كما يتفقان أن سبب الانسداد راجع الى الصراعات الداخلية بين النخب العلمانية والإسلامية، كما يتفقان على أن ضرورة التحديث والانفتاح على المجتمعات الغربية، كذلك التركيز على طبيعة الحكم التي يجب أن تكون في الانظمة السياسية العربية للحد من التعصب والعنف وتجنب الحروب الأهلية داخل منظومة الحكم ،كذلك يتفقان على ضرورة الاستفادة من التجربة الغربية ونقد التصورات الكلاسيكية التي تجاوزها الزمن ، أن أزمة الحداثة تصطدم بتلك التكتلات التراثية والدينية في مخيال الفكر العربي المعاصر، فان أي محاولة لزعزعة هذا التكتل يلزم تطبيق الحداثة الغربية ونماذجها السياسية والفكرية والاقتصادية والعلمية. إن التداخلات والتنوعات الاثنية والعرقية داخل المجتمع الواحد يرفع

من شدة التوتر. ان هذا يستدعي العلمانية حسب المفكرين لكي تنظم الحكم داخل الدولة، كما أن برهان غليون يرفض أسلمة الحياة السياسية كذلك يكمن الاختلاف في طبيعة تشخيص الأزمة حيث أن برهان غليون بضرورة الانفتاح بالثقافة الغربية من أجل تجسيد الرؤية السياسية التي راهنت عليه الدول والمجتمعات الغربية والتأكيد على فشل الأنظمة الاسلامية التي تحاول أسلمة الحياة السياسية والمعرفية بضرورة التحديث ومواكبة الحداثة للخروج من الانحطاط لكن فهمي جدعان يؤكد على ضرورة التوافق بين العقل والاسلام .

الهوامش:

[1] برهان غليون ،المحنة العربية: الدولة ضد الأمة، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، بيروت، ط3 ، سبتمبر2003، ص 210.

[2] المصدر نفسه،ص210،ص211.

[3]فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الاسلام في العالم لعبي الحديث، دار الشروق،ط1988،3،ص588

[4] برهان غليون، اغتيال العقل: محنة الثقافة بين السلفية والتبعية ،المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط2006،4،ص186

[5]برهان غليون، سؤال المصير، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ط1، مارس،2023،ص135.

[6]برهان غليون، نقد السياسة الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، المغرب الدار البيضاء،ط4، 2007،ص490.

[7]فهمي جدعان، في الخلاص النهائي: مقال في وعود الإسلاميين والعلمانيين والليبراليين، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان،الأردن،ط2007،1، ،ص301،ص302.

[8]برهان غليون، عطب الذات وقائع ثورة لم تكتمل بعد سورية 2011-2012،الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط2020،2،ص309.

[9]المصدر نفسه،ص316.

[10]برهان غليون، نقد السياسية والدولة، ص489.

[11]فهمي جدعان في الخلاص النهائي، ص114.

[12]فهمي جدعان، تحرير الاسلام، تحرير الإسلام ورسائل زمن التحولات الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط1، 2013. ص221،ص222.

[13]فهمي جدعان، تحرير الاسلام ص222

[14]فهمي جدعان، تحرير الاسلام،ص213.

[15] برهان غليون، لؤي حسين، في النخبة والشعب، دار بترا للنشر والتوزيع،سوريا،دمشق،ط1، 2010،ص96.